الفصل الثالث
موضوعات الشعر الجاهلي ومصادره

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

موضوعات الشعر الجاهلي ومصادره

وإذا كان الشاعر الجاهلي- وقبيلته من ورائه – قد جعلوه همهم وأولوه كبير اعتنائهم – وصبوا فيه مشاعر نفوسهم واتخذوه فنهم الأدبى الأول- إذا كانوا قد صنعوا ذلك فإن الدارسين ألفوا حين يدرسونه أن يصنفوا قصائده فى موضوعات كبرى حسب الهدف من القصيدة. وما تحتويه فى داخلها من أهم محتوياتها الموضوعية، وأطلقوا على هذا التقسيم اسم " أغراض الشعر ".

أهم موضوعات الشعر الجاهلى:

1ـ المديـــــح والفخـــــر:

ويعنون به أن يذكر الشاعر مآثر رجل غيره، ويحدث عن صفاته المستحبة فيه وأفعاله المستحسنة منه، ونحو ذلك من سائر ما يعتز به هذا الرجل فى بيئته، ويعلو به قدره فى مجتمعه.

وقد كثر هذا الشعر فى الجاهلية، وقاله الشعراء فى بدء أمرهم اعترافاً بفضل الممدوح، وشكراً له على أياديه ونعمه، ولم يقصدوا من ورائه إلى كسب، ولم يسعوا إلى عطاء.

ووظفه بعض الشعراء فى حل مشكلات قبائلهم، فكانوا يقصدون به زعماء القبائل يرجونهم فى نجدة أو يعينونهم فى حرب، ويرحلون به إلى الملوك من الحيرة أو غسان يسعون فى العفو عن أسراهم، أو الاعتذار عن أخطاء قبائلهم.

ثم تلا ذلك- وفى أخريات هذا العصر – شعراء قصدوا به الملوك لينالوا من عطاياهم مكرمة، ويكتسبوا به المال، بل لم يتوقفوا عند قصد الملوك فكان منهم الأعشى والحطيئة اللذان مدحا به زعماء القبائل، والأغنياء من الناس رغبة فى المال الذى يعطونهما إياه.

ومن أشهر شعراء المديح زهير بن أبى سلمى[1] والنابغة الذبياني، وأعشى قيس وحسان بن ثابت، والحطيئة فى شعرهم الجاهلي.

ومن أمثلة هذا الشعر قول زهير بن أبى سلمى يمدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المريين، وقد أصلحا بين عبس وذبيان، وتحملا ديات القتلى من مالهما الخاص.

فأقسمتُ بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجُرهُم

يميناه لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومُبْرِمِ[2]

تداركتما عَبْساً وذبيان بعدما ... تفانوا وَدقُّوا بينهم عِطرَ منشمِ[3]

وقد قُلتما: إن ندركِ السلمَ واسعاً ... بمالٍ ومعروفٍ من الأمر نسلمِ

فأصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها من عُقُوق ومأثمِ

عظيمين فى عُلياَ معدٍّ وهُديتما ... ومن يستبح كَنزاً من المجد يُعْظَمِ

أما شعر الفخر هو الشعر الذى يتغنى فيه الشاعر بمزايا نفسه وقدراته الفردية، وصفاته وخلائقه وحسن تعامله مع الناس، وقد يذكر

---

(1) شرح شعر زهير بن أبى سُلمى، تحقيق الدكتور فخر الدين قيادة، ص23: 25.

(2) السحيل والمبرم: يرمز بهما للشدة والرخاء: يريد أنهما خير سيدين على كل حال فى الشدة والرخاء.

(3) منشم: امرأة تبيع العطر. غمس الناس أيديهم فى عطرها وتعاهدوا على الحرب فماتوا جميعاً، فصارت مثلا فى الشؤم يريد أن عبساً وذبيان صاروا كأنهم أولئك الذين تعاهدوا على الحرب وغمسوا أيديهم فى عطر منشم هذه.

فيه صبواته وأعمال فتوته ومغامراته – مع النساء – ونحو ذلك من سائر ما يراه المجتمع أو يراه هو من خلال تقاليد المجتمع شيئا حسناً – وإن خالف بعض تقاليد العصور التالية.

ومنه الشعر الذى يُعلى به الشاعر ذكر قبيلته، ويوحد فيه شأنها عن طريق ما تتخلق به أو تتعوده من صفات وأفعال تراها ويراها الناس معها شيئاً طيباً ككرم النسب وشهامة النفوس، وكرم الخلق، وجراءة القلب، وظواهر ذلك فى الأفعال، من نجدة وبذل وعفة وشجاعة .. ونحو ذلك من علامات الشرف والمجد.

وقد كثر هذا الشعر حتى ما تكاد ترى شاعراً جاهلياً ليس له افتخار، وازدادت كثرته فى شعر الفرسان من أمثال مهلهل بن ربيعة، وعنترة العبسي، وزعماء الصعاليك مثل عروة بن الورد وتأبط شرا ونحوهما، كما زاد فى شعر الشعراء الفتيان من أمثال طرفة بن العبد والحادرة العبسى وقيس بن الخطيم الأوسى وغير هؤلاء كثيرون.

ومن أمثلة الفخر القبلى قول معاوية بن مالك: معود الحكماء[1]:

إنّى امرؤ من عُصَبَةٍ مشهورة حُشُد لهم مَجدُ أشمُّ تليدُ[2]

ج

ألفوا أباهم سيداً وأعانهم كِرمُ وأعمامُ لهم وجُدُودُ

---

(1) المفضليات، ص355.

(2) حشد: يجتمعون للضيف والجار، تليد: عريق.

إذْ كلُّ حَيّ نابتٌ بأَرُومـــــةٍ نَبْتَ العِضَاةِ فماجد وكِسيدُ[1]

ج

نعطى العشيرة حقها وحقيقها فيهـا ونغفـر ذنبهـا ونَسُّـود

وإذا تُحملنَا العَشيرةُ ثِقْلَهـــا قُمّنـاَ بـه وإذا تَعُـودُ نَعُّـود

وإذا نُوَافِق جُدْأَةٌ أو نَجْـــدَةً كنَّا سُمَىَّ بها العدوَّ نكِـيدُ

بل لا نقـول إذا تبوَّأ جيـــرَة إن المَحَلّة شِعْبُها مكْـدُود[2]

ومن الفخر الفردى قول عنترة يمتدح بخلائقه وعفته[3]:

ما استحت أنثى نفسها فى موطن حتى أوفى مهرها مـــولاها

....

أغشى فتاة الحى عند حليلهـا وإذا غزا فى الجيش لا أغشاها[4]

وأغض طرفى ما بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواهـــا

إنى امرؤ سمح الخليقة ما جدّ لا أتبع النفس اللجوج هواهـــا

2ـ شعر الحماسة والهجاء والرثاء:

وهـو الشـعر الـذى تُذكـر فيـه أحاديـث الحـرب بمواقـف الأبطـال فيها، أو وصفاً لوقائعها الشديدة، وآلاتها القوية، أو كانت الأحاديث

---

(1) الأرومة: الأصل، العضاة: شجر كبير، الكسيد: الدون، على تشبيه بالسلعة البائرة.
(2) المحلة: البيوت، شعبها: الطريق بين جبلين يريد أنه لا يعتنز لأضيافه بالشدة والضيق.
(3) ديوان عنترة، ص153.
(4) أغشى: أزور.

عنها داعية للحث عليها، والثبات فيها أو الإغراء بها، أو نحو ذلك مما يصل بأسبابها ويدفع إلى إثارته لا إلى النفرة منها.

ولأن الإنسان العربى فى جاهليته عاش حياته مستعداً للحرب متهيئاً لها، عادياً على غيره أو معدواً عليه كثر حديثه عن الحرب ومواقفه فيها وتعييره غيره بالنكوص عنها أو الفرار منها، وعَمَّرتْ بهذا الشعر دواوين الشعراء الفرسان من أمثال عنترة العبسى وعامر بن الطفيل العامري، وعمرو ابن معديكرب الزبيدي، ولم يكد يخل من هذا الشعر ديوان شاعر أو مجموعة قصائد.

ومن أمثلة هذا الشعر قول عمرو بن معديكرب الزبيدي[1] :

أعددتُ للحربِ فَضْفَاضةً ... دلاصاً تَثَنَّى على الراهـــش[2]

وأجرد مُطَّرداً كالرَّشـــاءِ ... وسيف سَلَامَةَ ذِى فائِش[3]

وذات عَـــــدادٍ لها أَزْمَلٌ ... برتها رماة بنى وابـــــش[4]

وكل نحيض فتيق الغرارِ ... عَزُوفٍ على ظُفُرِ الرائش[5]

وأجرد ساط كشاة الإرا ... ن رِيعَ فعِنَّ على الناجِشِ[6]

---

(1) الأصمعيات، ص177.

(2) فضفاضة: درعا واسعة، ولاها: لينة لامعة، الراهش: عصب وعروق باطن الزراع.

(3) الأجرد: يريد به الرمح، مطردا: مستقيماً، الرشاء: الحبل. سلامة ذى فائش: قيل من أقيال اليمن.

(4) ذات عداد: يريد القوس، الأزمل: صوت، برتها رماة بنى وابش: أعدها رماة هذه القبيلة.

(5) النحيض: السهم المرقق، فتيق الغرار: عريض الحد، عزوف: له صوت، الرائش: الذى يجعل للسهم ريشا.

(6) الأجرد: الساطى: الحصان الواسع الخطوة، شاة الإران: الثور الوحشي، عن: ظفر، الناجش: الذى يثير الصيد.

ومنه أيضاً قول عمرو بن كلثوم[1] :

متى ننقل إلى قوم رحانـــا	يكونوا فى اللقاء لها طحينا
يكون ثفالها شرقى نجـــد	ولهوتها قضاعة أجمعينا[2]
نُطاعَنُ ما تراخَى الناسَ عنا	ونضرب بالسيوف إذا غشينا
بسمرٍ مِن قَنَا الخطِّىّ لُـدن	ذوابل أو بيض يختلينـــا[3]
نشق بها رؤوس القوم شَـقّاً	ونخليها الرَّقَابَ فتختلينـــا

أما الهجاء فيطلق على الشعر الذى تسجل فيه سيئات الرجال وقبائح أعمالهم وأخلاقهم وصفاتهم وأقوالهم وأنسابهم، وكثيراً ما وجد فى الشعر الجاهلى مصحوباً بالتهديد على فعل غير محبوب، أو قول غير مقبول، وعف فيه أصحابه- إلا قليلاً منهم – فلم يتناولوا الأعراض – ولم يهتكوا فى الصفات، وإنما لجأوا فى كثير من الصور إلى تجريد المهجو من الصفات الفاضلة، ليلبسوه صفة رديئة غير مقبولة فى مجتمعه، ومن أمثلته قول النابغة الذبيانى يهجو زرعة بن عمرو بن خوليد[4] :

نبئتُ زرعة والسفاهةُ كاسمها	يهدى إلىَّ غرائب الأشعـــار
فحلفت يا زُرْعَ بن عمرو إننـي	مما يشقُّ على العدو ضِرارِي
أرأيت يوم عُكاظ حين لقَيتَنـي	تحت العجاج فما شققت غباري[5]

---

(1) شرح المعلقات العشر للشنيقيطى، ص141، 142.
(2) الثفالى: الخرقة التى توضع تحت الرحى، اللهوة: حفنة الحب.
(3) السمر: الرماح، قنا الخطى: الرماح المنسوبة إلى الخط وهى بلدة تشتهر بصناعة الرماح، البيض: السيوف.
(4) ديوان النابغة الذبياتى، ص54، 55.
(5) العجاج: الغبار، ماشققت غبارى: ما لحقنى أى جبنت علي.

إنا اقتسمنا خطّتينا بيننـــــا فحملت برة واحتملت فَجـــارِ[1]

فلتأتينك قصائد وَلِيدْ فَعَـــنْ جيشا إليك قوادم الأكـــوارِ[2]

رهط ابن كور مُحْقِى أذْراعِهم فيهم ورهط ربيعة بن حُـذارِ[3]

ومن نماذج الهجاء المقذع قول الجُميح الأسدى يهجو العامريين[4] :

أنتم بنو المرأة التى زعم الـ ناس عليها فى الغَىِّ ما زَعُموا

يَمْزُجُ جارَاَسْتها إذا ولـدت يَهْدِرُ من كلِّ جانب خصم[5]

وأمها خيرة النساء علـى ما خان منها الدّحَاقُ والأتم[6]

تَشْمِدُ بالدِّرع والخمار فلا تخرج من جوف بطنها الرحِم[7]

أما الرثاء هو الشعر الذى يتفجع فيه على الموتى، ويذكر فيه ما كان أحدهم يتصف به من محامد، وما كان يصنع لنفسه ولغيره من خيرات، وما كان يبنيه لأهله من أمجاد وما فقد بموته من تلك الملامح الطيبة والخصال الحميدة.

وأحياناً ما كان الشاعر يبكى فى شعره الميت، ويتفجع عليه، ويصف حال الناس وحاله عند شعوره بفقده من أن يهتم بصفات يذكرها للميت، فيصير الرثاء لأحوال الأحياء وفجائعهم فى ميتهم وحسب.

---

(1) أى كان لى ولك خصلتان فأخذت أنا البرة، وأخذت أنت الفاجرة.

(32) يريد: فلا هجوتك بقصائدى، ويغزونك جيش من ركبان الخيل والإبل.

(3) وهذا الجيش من رهط هذين الرجلين، مستعداً دائماً يضع دروعه فى حقائب رحاله لتكون أقرب منه.

(4) المفضليات، ص42، 43.

(5) يمرج: يخالط، يهدر: يسمع له بقبقة، الخصم: الفتحة.

(6) خيرة مؤنث خير، خان: نقص، الدحاق: خروج فم الرحم مع الولادة، الأتم: إفضاء أحد المساكن إلى الآخر.

(7) تشمذ: تجنو، وحذف المفعول به وهو ما تحشوه.

وقد كثر الرثاء فى المأثور من الشعر الجاهلى كثرة أملتها ظروف الحياة القلقة والمتحاربة التى عاشها إنسان الجاهلية، وكانت كثرته فى شعر النساء وظواهر اللوعة فيه أبرزها مما هى عند الرجال، حتى لقد خلص له شعر بعضهن أو كاد وكانت الخنساء وجليلة بنت مُرّة من أشهر من عرفن بهذا الشعر، ومن نماذجه قول النابغة يرثى حصن بن بدر الفزارى(1).

يقولُون: حِصنٌ. ثم تأبَى نُفُوسهُم ... وكيف بحصنٍ والجبالُ جُنُــوحُ
ولم تلفِظِ الأرضُ القُبُورَ ولَمْ تَزَلْ ... نجومُ السَّماءِ والأَديمُ صَحيــحُ
فعَمَّا قليل ثمّ جَاشَ نَعيُّـــه ... فبات نَدِىُّ القَوَمِ وهوَ يَنُــوحُ

ومنه أيضاً قول سُعْدَى بنت الشمردل الجُهنِيَّة تبكى أخاها أسعد(2).

َمِنَ الحوادثِ والمَنُـــونِ أُرَوَّعُ ... وأبيتُ ليلى كلُّه لا أَهْجَـــعُ
وأبيت مُخْلية أُبَكى أَسعَـــداً ... ولمثلهِ تَبْكِى العُيونُ وتَهْمَـــعُ(3)
وتبين العين الطليحة أنهـــا ... تبكى من الجزع الدخيلوتدمـع(4)
- - - - - - - - - - - - - ... - - - - - - - - - - - - - - -
- - - - - - - - ... - - - - - - - -
ولقد بَدا لى قَبْلُ فيما قد مضى ... وعَلمتُ ذاكَ لو أنَّ علماً يَنْفَـع
أنَّ الحــوادث والمنــون كليهمــا ... لا يعتبـان ولـو بكـى مـن يجــزع

(1) ديوان النابغة، ص190.
(2) الأصمعيات، ص101، 102.
(3) مخلية: متفردة، تهمع: تسيل دموعها.
(4) الطليحة: المتعبة الكليلة، الدخيل: الداخلي.

ولقد علمت بأن كلُ مؤَخَّـرٍ يوماً سبيلَ الأولّين سَيتبَـعُ
أفَليسَ فيمن قَد مضَى أَلِىَ عِبرةٌ هلَكوا وقد أيقنت أن لن يَرجعُواَ

ولم يخل الشعر الجاهلى من ظواهر فى رثاء الممالك والأمم السابقة، وإن يكن ذلك قليلاً فيه لكن مجرد وجوده يدل على عراقة هذا الموضوع فى الأدب العربي، ومنه قول الأسود بن يعفر النهشلي[1] :

ماذا أُؤَمّل بعد آل محـرقٍ تركوا منازلهم وبُعَد إيـادِ[2]
أهل الخورنق والسدير وبـارقٍ والقصر ذى الشرفاتِ من سنداد[3]
أرضا تخيرها لدار أبيهـم كعب بن مَامَـة وابن أم دؤادِ
جرت الرياحُ على مكانِ ديارهِمُ فكأنما كانوا عَلَى ميعَـادِ
ولقد غَنُوا فيها بأنعم عيشَـةٍ فى ظل ملك ثابت الأوتـادِ
نزلوا بأنقرة يسيلُ عليهـمُ ماء الفرات يجىءُ من أطـوَادِ
أين الذين بنوْا فطال بناؤهـمْ وتمتـعوا بالأهـل والأولادِ
فإذا النعيم وكل ما يُلْهَى بـه يومـاً يَصـيرُ إلى بِلـى ونفـادِ

3ـ الغـــــــزل :

ويراد به الشعر الذى يرصد جمال المرأة فى روحها وجسدها وسلوكها، ويحبب الرجل فيها ويكثر من حنينه إليها، ويلفته إلى ذكرياته معها، وليحكى ما جرى بينهما من أقوال وما حدث من أفعال تجعله يتطلع إليها ويأسف لعدم حصوله عليها.

---

[1] المفضليات، ص217.
[2] محرق: لقب بعض ملوك العرب، إياد: قبيلة كان لها عز وجاه.
[3] الخورنق والسدير: قصران بالحيرة، بارق: ماء العراق، سنداد: نهر بين الحيرة والبصرة.

وفى الشعر الجاهلى صنفان من هذا الغزل " أحدهما " حسى يُعنى بالمظاهر الجسدية من المرأة فيصورها، ويصور معها مغامرات الشاعر ولهوه بها، وامرؤ القيس بن حُجر هو أكثر من قال فى هذا الشعر، ورسم فيه صورة مثالية لجمال المرأة الجسدى ومن شعره فى ذلك قوله[1] :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبا مصقولة كالسجنجل[2]

كبكر مقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل[3]

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل[4]

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هى نصته ولا بمعطل[5]

وفرع يغشى المتن أسود فاحم أثث كقنوا النخلة المتعثكل[6]

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المَدارى فى مُثَنًّى ومُرْسَلِ

وكشح لطيف كالجديل مُخَصَّر وساق كأنبوب السقى المذلل[7]

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك إسحل[1]

---

(1) ديوان امرئ القيس، ص15 – 17.

(2) مهفهفة: خفيفة اللحم، غير مفاضة: ضامرة الخصر، ترائبها: أعلى صدرها، السجنجل: المرأة.

(3) كبكر: مقاناة البياض.. الخ، كالدرة التى لم تثقب يخالط بياضها صفرة تغذت بالماء الصافى الذى لم يكدر بالنزول فيه.

(4) الأسيل: الخد الملس الناعم، ناظرة: عين، وجرة: مكان، مطفل: لها ولد.

(5) الجيد: العنق، الرئم: الظبى الأبيض، نعته: رفعته، ليس بفاحش: غير قبيح، ولا معطل: ليس خالياً من الحلي.

(6) وفرع: شعر طويل، يغشى المتن: يغطى الظهر، أثيث: غزير المتعثكل: المتداخل بعضه فى بعض.

(7) كشح: خصر، كالجديل: كحبل من سير لين، كأنبوب السقى المذلل: كقلب النخلة المسقى اللدن.

تضئ الظلام بالعِشاء كأنّهـــــا منارة ممسى راهـبٍ متبتّـــــلِ[2]

وتضحى فتيت المسك فوق فراشه نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضـل[3]

وثانيهما :

شعر عفيف لا يتعلق بأوصاف المرأة الحسية إلا بالقدر الذى يبديه الشاعر باعثاً على الإقبال عليها والتعلق بها والتحسر على فقدانها وعدم نوالها.

أما اهتمامه الأول فهو تصوير مشاعر المحب نحو من أحبها وآلامه فى البعد عنها وشغفه بالقرب منها، أى تركيزه على مشاعر المحب أكثر من اعتنائه بصفات من أحب، وقد عُرِفَ بهذا الشعر شعراء بأعيافهم أكثروا منه، وشغفوا به ومنهم المرقشان الأكبر والأصغر، ولكل منهما قصة فى حبه، ومنهم عبد الله بن العجلان، وآخرون غيرهم، ومن قول المرقش الأكبر فى غزله[4] :

قل لأسماء أنجزي الميعـادا وانظرِي أن تزودى منك زادَا

أينما كنت أو حللـت بأرض أو بلاد أحييت تلـك البلادا

أن تكونى تركت ريحكَ بالـ م وجاوزت حميـرا ومرادا

فارتجى أن أكون منـك قريبا فاسألى الصّادرين والوُرّادا

---

(1) تعطو: تتناول، برخص غير شثن: ببنان طرى غير غليظ أساريع ظبى: ديدان الرمل بيضاء الجسم حمراء الرأس، مساويك: مسواك يتخذ من شجر الاسل الناعم.

(2) منارة الراهب: سراجه– ممسى: امساء– متبتل: متقطع للعبادة وكان لا يطفى سراجه.

(3) نئوم الضحى: كناية عن تنعمها– لم تنتطق عن تفضل: لم تشد على خصرها حزاما على ثوب واحد.

(4) المفضليات، ص431: 422.

وإذا ما رأيت رَكَباً مخبيـــ ... نَ يقودون مقربـات جيادا[1]

فهم صحبتى على أرحل المَيْـ ... ـسِ يزجون أينقـاً أفْرادا[2]

وإذا ما سمعت من نحو أرض ... بُمحِبٍّ قد مات أو قـيلَ كادَا

فاعلَمِى غيرَ عِلْمِ شـكٍ بأنى ... ذاكِ وابكى لمُصفَدٍ أن ادَى[3]

4- الاعتـــذار :

وفيه يتنصل الشاعر مما يكون قد نسب إليه من أفعال أو أقوال سببت الجفوة بينه وبين من يعتذر إليه، ويمزج ذلك بكثير من مدحه، واستعطافه، وبيان آثار القطعية فى نفسه.

والنابغة الذبيانى هو أكثر من قال فى هذا المجال، واعتذاراته للنعمان بن المنذر تملأ مكاناً واسعاً من ديوانه، ومنه قوله[4]:

فلا لَعَمْرُ الذى مسَّحْت كعبتـه ... وما هُريقَ على الأنصاب من جَسَدِ[5]

والمؤمن العائذاتِ الطير يمسحها ... ركبان مكة بين الغَيْلِ والسَّعْدِ[6]

ما قلتُ مِن سَيئ مما أتيت بـه ... إذا فلا رَفَعتْ سوْطى إلىَّ يـدى[7]

إلا مقالةَ أقوامٍ شقيتُ بهـا ... كانت مقالتهُم قَرْعاً على الكبـد

---

(1) مخبين: مسرعين فى مشيتهم، المقربة: الفرس.

(2) الميس: شجر تصنع من خشبة الرحال، يزجون: يدفعون ويسوقون، أينق: جمع ناقة. على القلب، واصله "أنوق".

(3) المصفد المقيد الأسير، أن يفادى: لئلا يفادى، أى لا يقبل فداؤه.

(4) ديوان النابغة الذبيانى، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، ص25، 26.

(5) الانصاب: حجرة كانوا يذبحون عليها لآلهتهم، الجسد: الدم اللازق.

(6) المؤمن العائذات الطير: الله الذى آمن الطير التى لجأت إلى الحرم، والغيل والسعد: شجر ملتف.

(7) ما قلت من سئ: حواب القسم قبله، لا رفعت سوطى إلى يدى: إذا كنت قلتها شلت يدي.

أنبئت أنَّ أبا قابوس أوْعَدنـى ... ولا قَرارَ على زأرٍ من الأسـدِ[1]
مهلا فداءٌ لك الأقوام كلهُـمُ ... وما أثمرُ من مال ومنَ وَلَـد
لا تقذفنى بُركْنٍ لا كِفاءَ لـه ... وإن تأنَّفكَ الأعداء بالرفـد[2]

5ـ شعر الشكوى :

وهو الشعر الذى يحكى فيه أوجاعه وآلامه على شيء فاته من حياته لا يستطيع رده. وأكثر ما توجع الشعراء الجاهليون منه هو فوت الشباب وما فيه من حلاوة الصبوة والقوة والنشاط، والمرأة. ومن الأسف على الشَّبابُ قول سلامة بن جندل السعدي[3] :

أوْدَى الشَّبابُ حَميداً ذُو التَّعاجيبِ ... أوْدَى وذلك شـأو غير مطْلُوب
وَلّى حَثيثاً وهذا الشَّيبُ يَطْلُبُـهُ ... لو كان يُدْرِكُهُ رَكْضُ اليَعاقيبِ[4]
أوْدَى الشَّبابُ الّذي مَجْدٌ، عَوَاقِبُهُ ... فيهِ نَلَذُّ ولا لَذَّاتِ لِلشِيـــبِ
وللشبابِ إذا دامَت بَشَاشَتُـهُ ... وُدُّ القلوبِ من البيض الرَّعابيبِ[5]

6ـ شعر الحكمة :

وهو الشعر الذى ينظم الشاعر فيه خلاصة تجاربه فى الحياة والأحياء من خلال ملاحظاته لأوضاع المجتمع ومصطرعات الناس فيه، وأكثر الشعراء الذين جرت الحكمة على ألسنتهم فى شعرهم قلة، ولكنهم ممن امتدت أعمارهم، وطالت خبراتهم بالحياة، وعرفوا بدقة الملاحظة وكثرة التروى فيما يقولون وزهير بن أبى سلمى واحد من هؤلاء

---

(1) أبو قابوس: النعمان بن المنذر، أوعدنى: هددنى، لافرار: لا اطمئنان.
(2) لا تقذفنى بركن لا كفاء له: لا ترمينى بنفسك فليس لك مثيلى وإن تأنفك.. ألخ: وإن تجمع عليك أعدائى للتعاون ضدي.
(3) المفضليات، ص119، 120.
(4) الحثيث: السريع، لو كان يدركه ركض اليعاقيب: لطلبته.
(5) البيض الرعابيب: الفتيات البيض وفى أجسامهن لدونه حلوة.

الشعراء، وله فى آخر معلقته مجموعة من تلك الحكم صاغها، حسبما وردت قصيدته، صياغة مجردة.

وهناك من شعراء الفتوة المعروفين بالطيش والاندفاع من نسبت إليهم قصائد حكمية رفعية مصوغة صياغة نصيحة مجردة، نشك فى صحة نسبتها إلى ما نسبت إليه من الجاهليين، ومن هذا ما هو موجود فى ديوان طرفه بن العبد ومنسوبا إليه وهو:

إذا كنت فى حاجة مرسلا — فأرسل حكيما ولا توصه

وإن ناصح منك يوما دنا — فلا تنأ عنه ولا تقصه

وإن باب أمر عليك التوى — فشاور لبيبا ولا تعصه

وذو الحق لا تنقص حقه — فان القطيعة فى نقصه

فإن روح الشعر العباسى بادية عليه، خاصة فى تثنيه النصح لمحاولة تكميل جوانب النصيحة مما تبدو فيه عقلية العباسيين الاستقصائية والتجريدية معاً.

7ـ الوصف:

وهو الاسم الذى يطلق على كل شعر فيما عدا الإنسان سواء كبر موضوعه فتناول ظاهرة سماوية كبرى، أو حدثاً كبيراً مؤثراً فى حياة الناس أو صغر، فتناول حشرة صغيرة من حشرات البيوت أو الرمال.

وبالطبع اتسعت دائرة هذا الغرض بسعة موضوعه أو الموضوعات التى اعتنى بها الشاعر الجاهلى فى بيئته، وإذا كان الشاعر الجاهلى لم يترك شيئاً مما وقع عليه إلا كان له فيه شعر- فإن حجم الشعر

الموجود فى هذا الغرض يوشك أن يفوق كل شعر فى غرض سواه.

وأكثر ما اهتم به الشاعر الجاهلى فى بيئته فوصفه هو الحيوان والظواهر الطبيعية المؤثرة فى حياته، وأهمها الحصان والجمل، والسحاب والمطر والصيد، فقد كثر وتميز شعراء بعينهم فى صفة الخيل، وأسرف آخرون فى وصف الجمل والناقة وضمنوا قصائدهم الكبرى صفات لهما، ومما قيل فى وصف الحصان قول أبى دؤاد الأيادي[1]:

وقد أرانى أمام الحمى مكتلئا ... ثغراً به من دواعى الموت تثويب[2]

أرعى أجمته وحدى وينسنى ... نهد المراكل صلت الخد منوب[3]

ماء جواد عتيق غير مؤتشب ... تضمنته له كبداء سرحوب[4]

يعلو بفارسه منه إلى سند ... عال وفيه إذا ماجد تصويب[5]

وفى اليدين إذا ما الماء أسهله ... ثنى قليل وفى الرجلين تجنيب[6]

---

(1) دراسات فى الأدب العربى (غروميام)، ص294.

(1) مكتلئا: حافظا، تثويب: يصبح فيه الموت مرة بعد مرة.

(2) اجمته: موارده، نهد المراكل: عالى الجنين حيث يركل.

(3) ماء جواد: هو نسل جواد عتيق، غير مؤتشب: غير مختلط فهو عربى تضمنته... الخ: يريد أن أمه تكلفت بحفظ ماء هذا الجواد العتيق فأنجبت هذا الفرس الكريم، وهى – أمه – طويلة الجسم.

(4) يعلو بفارسه... يريد أنه عالى الظهر إذا وقف، وفيه تصويب إذا ماجد: فيه إذا سار طمأنينة مريحة.

(5) تجنيب: انحناء قليل.

فكل قائمة تهوي لوجهتهـــا لها أتى كفرع الدلو أثعـوب[1]

ولا فى عظامه ولا فى أرساغه عتب ولا مشك صفاق البطن مثقوب[2]

وضابع إلى جرى أياً أردت بـه لا الشدشد ولا التقريب تقريب[3]

بين النعام وبين الخيل خلقتـه خط طريقته أجش يعبـوب[4]

ومن صفات المطر المصحوب بالبرق ما قال امرؤ القيس[5] :

أصاح ترى برقاً كأنَ وميضَـهُ كَلَمْعِ اليَدَيْن فى حَبىّ مكلّلِ[6]

يُضِئ سناه أو مصابيحُ راهـب أهان السليط فى الذّبالِ المفتّل[7]

ج

وأضحى يسح الماء عن كل فيقة يكب على الأذقان دوح الكنهبل[8]

قَعدتُ لـه وصُحْبَتى بين ضارج وبين العذيب بعْدَ ما متأمـــل[9]

ج

وتيماء لم يترك بها جذع نخلـة ولا أطما إلا مشيدا بجنـدل[10]

---

(1) لها اتى: للقائمة، ماء: أى عرق، أثعوب: سائل.

(2) العتب: الطلح، المشك: مكان الشك حيث تلتصق الذراع بالجنب.

(3) الضابع: الذى يعد أعضاءه عند الجري.

(4) خاظى البضيع: اجش الصوت، يعبوب: سريع.

(5) ديوان امرئ القيس، ص24، 25.

(6) وميضه: بريقه، كلمح اليدين: كحركتها، حبى: سحاب، مكلل: متراكم.

(7) السنا: الضوء، أهان السليط: صب الزيت، فى الذبال المفتل: خيوط المصباح المفتولة.

(8) يسح الماء عن كل فيقة: أى يصبه دفعة دفعة، الدوح: الشجر الكثير الورق والأغصان، النكهبل: العظيم من شجر العضاء.

(9) ضارج والعذيب: مكانان، بعدما متأمل: ما أبعد ما أتأمل منه.

(10) الأطم : البناء .

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغثاء فَلْكة معْزَلِ [1]

كأن ثبيرا فى أفانين ودقه كبير أناس فى بجادٍ مُزَمَّلِ [2]

ج ج

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليمانى ذى اليعاب المخوَّلِ [3]

كأن سباعاً فيه غرقى غدية بأرجائه القصوى أنابيش عنصل [4]

ج

على قطن بالشيم أيمن صوبه وأَيسَرَهُ على السِّتار فيذبل [5]

ج

ومر على القنان من نفيانه فأنزلَ منه العُصْمَ مِنْ كلِّ مَنزلِ [6]

ج ج

ويمكن للدارس أن يجد فى هذا الشعر صفات النجوم وتحركاتها، وتفسيرات أسطورية لبعض ظواهرها.

كما تجد صوراً تصف النعام والظبى والغزال والوعل، وبقر الوحش والثور والأتان والضب، والغنم والبقر، والكلب والصقر، والغراب، والحمام، والقطا – والحية والنمل، والعقرب، وسائر ما يضطرب فى هذه البيئة من حيوان، وفى كتاب المعانى الكبير لابن قتيبة شعر فى كل ذلك وفى غيره

---

(1) الذروة : اعلى الشىء والجمع ذرى ، رأس المجيمر : جبل بعينه .

(2) ثبير : جبل ، أفانين ودقه: أنواع مطره، مزمل فى بجاد: مغطى فى ثياب

(3) الغبيط: أرض، بعاعة: ثقلة، نزول اليمانى... الخ كما ينزل التاجر من اليمن بأمتعته.

(4) غدية: فى الصباح، أنابيش عنصل: ما نبش من هذا النبات.

(5) قطن: جبل فى بنى أسيد، الشيم: النظر إلى البرق، الستار ويذيل: جبلان مما يلى البحرين.

(6) القنان : اسم جبل، نفيانه : ما تطاير من قطر المطر، العصم: الأوعال.

مما صوره الشاعر الجاهلي، كما أن هذا الكتاب حوى شعراً جاهلياً فى أدوات الطبخ والبيوت من جفان وقدور وآنية للطعام قد يندر وجودها فى كتب غيره مما يشهد أن موضوع الوصف اتسعت دائرته لتحتوى ظواهر الحياة الجامدة، والحية فى البيئة الجاهلية – مما عدا الإنسان الذى اختص بالموضوعات الأخري.

أهم مصـــادر الشـــعر الجاهلـــي:

كان الشعر هو الفن التعبيرى الأول فى الجاهلية، فما عرف الإنسان العربى فى جاهليته فناً أوثق بحياته أو أقدر على احتواء مشاعره من الشعر الذى برع فيه، وبلغ على يديه درجة عالية من الإتقان والجودة.

وقد كثر هذا الشعر فى الجاهلية، وإزداد انتشاره قولاً وإنشاءً كما ازدادت روايته وحفظه وبلغ من كثرته أن النقاد العرب أقروا بعجزهم وعجز غيرهم عن الإحاطة به. أو بشعر قبيلة واحدة منه، فقال محمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة 231هـ[1]، "أنه لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب".

وقال ابن قتيبة المتوفى سنة 276هـ[2]- "والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم فى الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط، أو يقف من وراء عددهم واقف... ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة".

وقد عنى الرواة عبر الأجيال المتوالية برواية هذا الشعر وحفظه،

---

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ج1، ص305.
(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1، ص66.

أعانهم على ذلك ذاكرتهم الحافظة وقدراتهم الواعية، وسعيهم لجمع هذا الشعر ودأبهم فى الحرص عليه.

وقد بلغ من عنايتهم بحفظه أن راوية من رواة القرن الثانى الهجرى اسمه أبو ضمضم أنشد لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو[1]، وإن حماداً الراوية كان يروى سبعمائة قصيدة أول كل منها " بانت سعاد[2]".

وإن أبا تمام الشاعر المتوفى سنة 231هـ كان يحفظ من أشعار العرب أربعة عشر ألف أرجوزة[3].

وعلى الرغم من هذه الكثرة المفرطة فى الشعر وحفظه وروايته فإنه لم يصل منه إلى عصور التدوين فى القرن الثانى الهجرى إلا كم قليل. لأنه ظل ينقل شفاهة[4] ما بين القرنين والثلاثة القرون من بدء المروى منه إلى أن استقر تدوينه قال أبو عمر بن العلا: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير".

والموجود فى الدواوين الشعرية التى بين أيدينا يشهد بصحة ذلك، فما منها ديوان واحد يمكن أن يقال إنه حوى كل إنتاج صاحبه من الشعر.

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1، المرجع السابق، ص67،
ولعل هذا ما دعا محمد بن داود الجراح إلى عمل كتاب من سمى من الشعراء عمراً فى الجاهلية والإسلام.

(2) الأغانى، ج6، ص92.

(3) تاريخ التمدن الإسلامى، ج2، ص25.

(4) يؤكد الدكتور/ ناصر الأسد أن هذا الشعر، أو بعضه، قد كتب فى صحائف متفرقة. أو دواوين مجموعة منذ عهد مبكر جداً، وربما كتب بعضه من العصر الجاهلي، راجع: مصادر الشعر الجاهلى 482.

وقد صنف الرواة الذين جمعوا هذا الشعر ـ كله أو بعضه فى عدة أشكال من التصنيف تنتمى كل مجموعة منها إلى شكل معين فكان منها :

1ـ الدواوين الشعرية : وفى كل ديوان منها يجمع الراوية كل شعر صحت نسبته عنده لصاحب الديوان، وقد كثرت العناية بهذه الدواوين، وتعدد جامعوها، وبلغ من عنايتهم بها أن أبا سعيد السكرى عمل منها واحدا وخمسين ديوانا كان أكثرها قد جمع من قبله[1] وبلغ من شدة اهتمامهم بها أن ديوانا واحدا منها هو ديوان امرئ القيس عُمل أو طبع ست عشرة مرة[2].

2. أشعار القبائل : وفى كل كتاب منها يجمع الراوية ما صح عنده من أشعار قبيلة بعينها، وينسبه إلى قائليه من أبناء تلك القبيلة الشعراء، أو يهمل نسبته أحيانا وقد عمل أبو عمرو الشيبانى من ذلك " أشعار نيف وثمانين قبيلة"[3] فى نيف وثمانين كتابا وعمل أبو سعيد السكرى أشعار ست وعشرين قبيلة[4]، أو ثمان وعشرين[5] وذكر أبو الحسن بن بشر الآمدى أنه رجح إلى ستين كتابا من كتب القبائل وهو يؤلف كتابه

---

(1) الفهرست، ص224 - 226 ويؤيد هذه الكثرة ما رجع إليه عبد القادر البغدادى من هذه الدواوين وسجله فى كتابه "خزانة الأدب "، وما رجع إليه العينى وسجله فى "المقاصد النحوية ".

(2) مصادر الشعر الجاهلى، ص485، 486.

(3) الفهرست لابن النديم 117.

(4) المصدر السابق، ص117.

(5) أضاف إليها الدكتور/ ناصر الدين الأسد ديوانين جمعهما من المصادر الأخرى. راجع مصادر الشعر الجاهلى 546.

"المؤتلف والمختلف[1]"، ونقل بعض أشعار تلك القبائل فى هذا الكتاب.

3. المختارات الشعرية : وفى كل منها يختار جامعها عدداً من القصائد والمقطوعات أو من القصائد وحدها، أو من المقطوعات وحدها - يختار ما يراه جيداً فى نظره- من غير أن يدل على أسباب اختياره وظواهر جودته عنده. ومن أشهر هذه المختارات :

أ) المعلقات: وهى قصائد سبع اختارها حماد الراوية لشعراء سبعة هم امرؤ القيس، وزهير، وطرفه، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وعنترة لكن صاحب جهرة أشعار العرب استبدل بمعلقتى الحارث ابن حلزة وعنترة قصيدتين للنابغة الذبيانى وأعشى قيس، وجاء أبو جعفر بن النحاس فشرح القصائد التسع، ثم جاء التبريزى فشرح القصائد التسع وأضاف إليها قصيدة لعبيد بن الأبرص، فصارت عشرا، اتفق جميع الرواة والشارحين على الخمس الأولى منها واختلفوا فى الخمس الأخرى.

ب) **المفضليات**: وقد اختارها المفضل الضبى الراوية الكوفى المشهور، وقد تختلف فى عدد قصائدها ومقطعاتها المروية عن المفضل، فمن الناس من يقول إنها ثمانون[1]، ومنهم من يقول إنها مائة وثمان وعشرون[2]،

---

(1) مصادر الشعر الجاهلى، ص543، 544.

(2) العصر الجاهلى، ص176.

(3) راجع ما كتب عن ذلك فى أمالى القالى، ج3، ص130، وابن النديم فى الفهرست، ومحققا المفضليات فى مقدمتها على التحقيق، ص10 - 23، والدكتور/ ناصر الأسد فى مصادر الشعر الجاهلى، ص479 - 577، والدكتور/ شوقى ضيف فى العصر الجاهلى، ص177.

والموجود بين أيدينا فى المطبوعة المحققة مائة وثلاثون[1] لست وستين شاعرا منهم ستة وأربعون جاهليا وأربعة عشر مخضرما.

ج) الأصمعيات: اختارها الراوية البصرى الكبير: عبد الملك بن قريب الأصمعي، وهى فى المطبوعة التى بين أيدينا[1] اثنتان وتسعون قصيدة ومقطعة وأرجوزة لواحد وسبعين شاعرا منهم واحد يسميه الأسدى نسبة إلى بنى أسد. ومنهم واحد يقول عنه: بعضهم ومنهم أربعة وأربعون جاهليون وأربعة عشر مخضرمون، وتتفق الأصمعيات مع المفضليات فى عدد من مختاراتها، مع اختلاف فى بعض الأبيات بين الكتابين.

د) جمهرة أشعار العرب: وهى لراوية اسمه أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، وقد حوت هذه الجمهرة تسعا وأربعين قصيدة، قسمها سبعة أقسام، كل قسم منها يشتمل على سبع قصائد، أطلق على المجموعة الأولى منها المعلقات والمجموعات الخمس التالية لها وهى - المجمهرات، والمنتقيات والمذهبات والمراثى والمثوبات لشعراء جاهلين ومخضرمين، والأخير منها وهي: " الملحمات " لشعراء إسلاميين.

هـ) دواوين الحماسة: وأقدمها ديوان الحماسة لأبى تمام الشاعر المشهور وقد جعله أبو تمام فى عشرة أبواب، أكبرها باب الحماسة وبه سميت المجموعة كلها، وقد اختار فيه لشعراء جاهليين وإسلاميين وعباسيين.

وقد جمع البحترى الشاعر تلميذ أبى تمام ديوانا آخر سُمِّىَ حماسة

---

(1) طبع دار المعارف بمصر، ط4.
(2) الطبعة الثالثة عن دار المعارف بمصر.

البحترى وهى مقطوعات قصيرة مقسمة حسب معانيها إلى مائة وأربعة وسبعين بابا.

مختارات ابن الشجري:

المتوفى سنة 542هـ وتضم مختارات من الشعر الجاهلى والإسلامى. وقد طبعت بالقاهرة.

دواوين الشعراء الستة الجاهليين :

وقد جمعها الأصمعى من شعر امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفه وعنترة وعلقمة، وقد شرحها الشنتمرى.

وقد طبع ديوان امرئ القيس مستقلا عدة طبعات أهمها طبعة دار المعارف. كما نشرت دار الكتب ديوان زهير. شرح ثعلب. كما طبعت دواوين النابغة وطرفه ولبيد وعروة بن الورد وحاتم وعلقمة والشنفرى وأوس بن حجر وسلامة بن جندل. وغيرهم، ونشرت كذلك أشعار الهُذليين وديوان أبى ذؤيب الهذلى.

شرح النقاض :

وهو لأبى عبيدة وقد جمع فيه كثيرا من الشعر الذى قيل فى أيام العرب.

ومن الكتب التى تناولت أيام العرب أيضا الكامل لابن الأثير. والعقد الفريد لابن عبد ربه.

ولم يقف الاهتمام بالشعر المروى عن الجاهليين والإسلاميين عند جمعه وتصنيفه، إنما امتدت إليه أيدى العلماء والناقدين بالشرح والنقد

والدراسة منذ القرن الثانى الهجري، وكثرت الكتب فى ذلك، وتنوعت موضوعاتها، وحوى كثير منها آراء الرواد الذين جمعوا الشعر، ومن هذه الكتب :

(أ) كتب طبقات الشعراء :

ولعل أقدم ما وصل إلينا منها كتاب " طبقات فحول الشعراء[1]" لمحمد ابن سلام الجمحى، والكتاب - إلى جوار أهميته فى نقد الشعر - يُعد مصدراً من مصادره، وواحداً من الكتب التى حفظت أخبار الشعراء وقد اعتمد عليه المؤلفون فى الشعر وفى الأخبار من بعده، ومنهم صاحب الأغاني[2].

(ب) كتب معانى للشعر :

وقد بدأت هذه الكتب مبكرة، واهتم بها الرواة والمعلمون لتفسير الغريب من لغة الشعر المروى، وتقريبه من أفهام الناس، وكتب فيها من أصحاب الخليل بن أحمد وأبو فيد مؤرخ السدوسي[3] ومن معلمى البادية أبو روان العلكي[4] وتوالت الكتابة فيها من بعد ذلك.

ويعد (كتاب المعانى الكبير) لابن قتيبة - وهو أحد الكتب الباقية من كتب معانى الشعر - مصدرا من مصادر الشعر لما يحويه من الأبيات، والمقطعات والقصائد النادرة فى مختلف الموضوعات الوصفية التى توشك أن

---

(1) اسمه فى الفهرست، ص165 كتاب طبقات الشعراء الجاهليين، وطبقات الشعراء الإسلاميين.

(2) مقدمة تحقيق الطبقات، ص47 وما بعدها.

(3) الفهرست، 71.

(4) المصدر السابق، ص 69.

تشمل أنواع الجدران والحشرات وأدوات الطعام، مما لا يوجد نظيره فى غيره من الكتب.

(ج) كتب سرقات الشعراء :

وواضح من عنوانها أنها تدرس المعانى التى أخذها الشعراء بعضهم من بعض، أو من مصدر آخر غير الشعر، ولم تكتف هذه الكتب بالحديث عن الجاهليين وحدهم، إنما تحدثت عن الشعراء الإسلاميين والعباسيين، ومن هذه الكتب "كتاب سرقات الكميت من القرآن" الذى ألفه ابن كناسة المتوفى سنة 207هـ[1]، وكتاب "سرقات الشعراء" الذى كتبه ابن السكيت المتوفى سنة 216هـ[2].

(د) كتب أخبار الشعراء :

وقد كثرت هذه الكتب كثرة ظاهرة، وبدأت فى أزمنة مبكرة وتوالى عليها كثير من أهل الحضر وأهل البادية.

ويعد كتاب" الشعر والشعراء "لابن قتيبة أقدم ما وصل إلينا منها، وهو يترجم للكثير من الشعراء الجاهليين والإسلاميين، والعباسيين، ويختار من شعرهم ما يستحسنه ويذكر من شعر الواحد منهم ما لا يحسن عنده، ويسجل ما أخذ متأخرهم من معانى متقدمهم.

وهناك كتب أخرى ألفت فى موضوعات مختلفة من الشعر، وجمعت أبياتا فى أغراض متفاوتة مثل كتب " الأبيات السائرة " وكتاب " ما قيل فى الحيات من الشعر والرجز وغيرها ".

---

(1) الفهرست، المرجع السابق، 105.
(2) المصدر نفسه، 108.